

ولأن في التاريخ بدايات المستقبل ...

تُخصَّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحضُّنَ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي،

## معتقل المية ومية... أوائل أربعينات القرن الماضي



الأمين الدكتور عبدالله سعاده

تسلَّم بشير فاخوري إدارة المستشفى في العشرين من شباط، وبخبرته كصيدلي متمرس استطاع أن يؤدي خدمات كثيرة لسائر المعتقلين، يحدهو إلى ذلك حب خاص للناس وللخدمة العامة. المستشفى عبارة عن «كامب، طويل من التلك، مقطع من الداخل بجواجز الخشب المقوّى. هناك غرف للاستشفاء، وغرفة للطوارئ، وغرفة للادوية، وغرف للاستقبال والإدارة. وكان يعاون بشير (الأمين لاحقاً) بعض المعتقلين أصحاب الخبرة. الأدوية متوافرة بشكل مقبول. كان في المستشفى طبيب أسنان، وأطباء عامون.

كان يوم الثالث والعشرين من شباط 1942 يوماً مشهوداً في حياة المعتقل. فقد جاء من سجن القلعة العسكري مامون ثابت، ومامون اياس، وجبران جريج، وزكريا اللبابيدي، وفارس معلوي، وعجاج المهتار. استقبلنا الرئيس ثابت وصحبه عبد الباق استقبالا رسمياً، وأُذيت لهم التحية، ثم أُفِرغت لهم أمكنة خاصة، وأدمجوا في الإنتظيم العام. أصبح مامون اياس المسؤول الإداري، وظل أنيس فاخوري مسؤولاً عن إدارة الإعاشة والطبخ.

أقمنا احتفالاً ليلة أول آذار 1942 في ذكرى مولد سعاده، دُعِيَ إليه الإصغاء من المعتقلين. كان عريف الاحتفال مامون اياس- ألقى الرئيس ثابت خطبة ارتجالية عن تاريخ الحزب، وأنشدت فرقة الإنشاد بعض الأناشيد. وُزِع الشاي والحلوى، ثم قام البعض إلى رقص الديكة.

يوجد المسؤولين الحزبيين الرئيسيين معنا ازادات الندوات الحدمية مع بعض كبار المعتقلين. كانت فرصة لتفهم هؤلاء مبادئ الحزب ومراهيم. الدكتور كريم عزقول<sup>(8)</sup> الذي وفد إلينا لاحقاً، وهو شقيق الرفيق المحامي نظمي، اعتنق العقيدة القومية أثناء الاعتقال، وأصبح في ما بعد، وحين خروجه من المعتقل، مسؤولاً فاعلاً لسنوات عدّة تسلم خلالها عمدة الإذاعة.

مع تسلمه المسؤولية الإدارية الحزبية، نشط مامون اياس في رعاية القوميين من النواحي النفسية والمادية والمسكّية. أخذ يعقد الاجتماعات المتتالية في الغرف. يجمع ساكني غرفتين أو ثلاث في كل مرّة، ويتكلم فيهم عن وجوب التحلي بالسلوكية الجيدة، وأن يكونوا قدوة في تصرفاتهم وفي تحملهم لألام الاعتقال. كان يطلب من كل واحد منهم أن يطلعهم شخصياً على مشاكله ليعساعد في حلها. مثل تلك الأحاديث كانت تساعد في التماسك والانتظام.

يوجد صلاح الشيشكلي ومدير الملاذي، وهما ضابطان سابقان في الجيش الشامي، بدأ القوميون، خلال شهر نيسان من عام 1942 بالقيام بتمارين رياضية قاسية تلك التي يقوم بها الجنود. ابتدأت التمارين بشكل جماعي، ثم انقسم المجموع إلى ثلاث فرق على رأس كل منها مسؤول. تسلم جبران جريج ووليم سابا وأنا رئاسة الفرق الثلاث، وظل صلاح المشرف العام، يساعده مدير. بدأ التنظيم العسكري يتناول حياتنا كلها، فجري نظام للمراسة على غرف القوميين. ولم يكن في الواقع من موجب الحراسة سوى التمرين التطبيقي للقواعد العسكرية وإدخالها على الحياة اليومية. وكذلك دخل نظام الجنديّة إلى الأمور العامة، فانتظمت أوقات النوم والاستيقاظ والطعام والتسيل والاستحمام. أصبح حل المشاكل اليومية يخضع لنظام الفرق، وبطريقة التسلسل، وكذلك أخذ القرارات وتطبيقها. ساعد ذلك كثيرا في ضبط الأمور، وتحجيم الانفلات، وبالتالي على تدارك الضعف النفسي عند البعض، والمتوقع في مثل تلك الأحوال. توفي صلاح شيشكلي في حادث سيارة أوائل شهر تشرين ثاني عام 1979.

الانضباط في تلك الحالة، بالإضافة إلى تأثيره الحسن في حلحلة الأمور الحياتية الفردية، كان له التأثير نفسه في الروحية العامة. كان الذين أصاب نفوسهم بعض الضعف والأرهاق يشعرون بأن بينهم عيوناً تسهر على راحتهم وتتعهدهم نفوسهم مظلما تتعهده أمورهم المادية.

## أنا عائد (طبعة جديدة)

بتاريخ 2014/09/30 نشرنا عن

كُتِيب «أنا عائد» الذي أعده الأمين لبيب ناصيف لأشبال عام 1972.

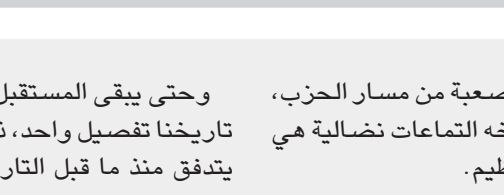
في الأونة الأخيرة عمدت دار ومكتبة التراث الأدبي إلى إصدار طبعة جديدة من الكُتِيب، وكان باحورة توزيعه في المعرض الناجح الذي أقامته مديريةَ صهور الشوير يوم السبت 2015/ 08/ 15 لفائدة الإطلاع نعيد نشر النُبذة المشار إليها آنفاً.

\*\*\*
في عام 1972 وكنت أتولى مسؤولية رئيس مكتب عبر الحدود، ومعها مسؤولية مكتب الطلبة، راودتني فكرة كتابة قصة لأشبال، بعد أن وجدت أن الحزب لم يول هذا الأمر ما يستحقه من قصص وكتابات، بحيث أن طفلنا لا يجد ما يناسب عمره لقرأه تعريفاً عن الأمة، عن الحزب، عن سعاده، عن فلسطين، عن الخطر اليهودي.

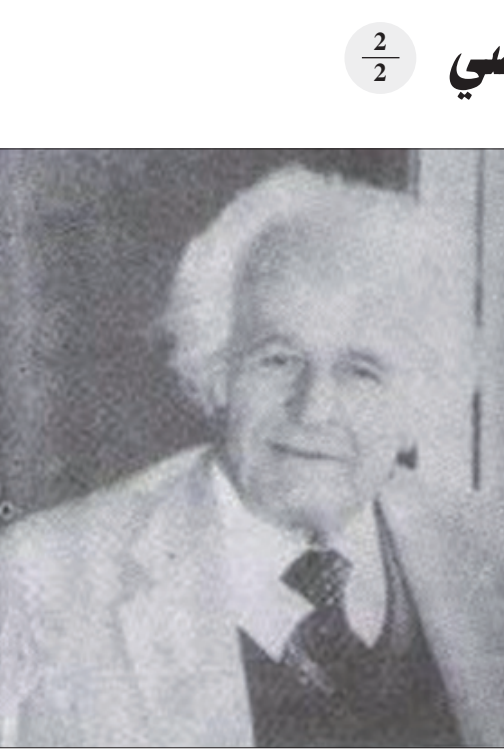
ذات يوم أحد انصرفت إلى كتابة «أنا عائد». طبعت أكثر من نسخة ووزعتها على عدد من الرفقاء المدرّسين ومن الذين يتمتعون بثقافة جيدة، كما إلى رفاقا في

صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

## البناء



الأمين عجاج المهتار



الأمين عجاج المهتار

إعادة كتابتها، وبعد مرور بضعة أسابيع سألت عبدالله عن مصير ذلك الطلب، فأخبرني أنه أحيل للحفظ. لم يلبث عبدالله طويلاً في المعتقل، فقد نجحت محاولة أخرى لإخلاء سبيله، فخرج من المعتقل في التاسع عشر من كانون الأول من ذلك العام ليتابع دراسته الطبية. ترافقت وعبدالله في المسؤوليات الحزبية حتى عام 1957، فكتت معه في المجلس الأعلى للحزب ومجلس الأسماء ثم افترقنا من دون ضغينة، على اجتهادات مختلفة ومهمة، ما سيأتي تفصيله في حينه.

في الثاني من تشرين ثاني وقد إلينا أسد الأشقر، وفي اليوم التالي جاء عبدالله قيرصي. أسد استسلم بعد طول مطاردة، وبعد أن احتل الفرنسيون بيته وسكنوا فيه. وعبدالله قدم نفسه للاعتقال بعد أن شدّت في وجهه سبيل التحرك، وبعد أن شدّت قوى الاحتلال الفرنسي الضغط على قريته في الكورة، وعلى أهله هناك. مع كل وافر جديد يزداد التشاؤم من الوضع، وتغيّب بعض الأمل في الإفراج عنّا. ملاحقة القوميين، والإصرار على اعتقال المسؤولين منهم لا تفسير له سوى أنّ قضيتنا معقدة، وأن السلطة تخاف من حرية العمل الحزبي، وليس أضمن لها من وضع القوميين ضمن جدران المعتقل، فيراتح بالها، وتقلل بابا تاتيتها منه الريح.

جاءنا في الرابع من كانون الأول 1942 نبأ أنّ بنبئة الفرنسيين إبعاد المسؤولين الحزبيين الرئيسيين إلى قلعة راشيا، فاضاف النبا إلى معاناة القوميين يُعدا جديداً، وأوصد أمامهم أبواب الأمل بانفراج قريب، وظلّت القوميين غيبة من الأسي العميق. أُبعد إلى راشيا كل من نعمة ثابت ومامون اياس وأنيس فاخوري وجبران جريج وزكريا اللبابيدي، وأصبح فؤاد أبو عجرم المسؤول الحزبي الجديد، وتسلمت أنا إدارة المطعم والإعاشة. كتت احتفظ ببعض الأوراق الحزبية السريّة وسلمني إياها الرئيس نعمة ثابت، طلب إلى اتلافه قبل رحيله إلى قلعة راشيا. ودعنا المسؤولين الراحلين وداعا رسمياً ووقفنا صفاً نظائماً واحداً وأدينا لهم التحية.

في راشيا التقى المسؤولون هناك بعض القوميين وبعض نرّلاء المية ومية السابقين، أمثال مصطفى السباعي ومعروف سعد. ولم تكن حياة الاعتقال في راشيا سيئة إلى الحد الذي تصورنا. وقد وفد على القلعة يوم الحادي عشر من تشرين الثاني عام 1943، وبرسم الاعتقال مسؤولو الدولة اللبنانية. اعتقلهم والفرنسيون بعد أن أظهروا نيّة بالتخلص من الانتداب الفرنسي. اعتقل بشارة الخوري ورياض الصلح وعميل شمعون وعادل عسيران وسليم تولا وعبد الحميد كرامي، واستطاع المسؤولون القوميون هناك التخفيف عن هؤلاء الزعماء اللبنانيين، وتشديد عزائهم بتزويدهم، على رغم الرقابة المشددة المفروضة عليهم، بالأخبار اليومية لما يجري في الخارج من انتفاضات ضد الفرنسيين. الحياة السجون والمعتقالات وفُرت للقوميين خبرة في التوصل إلى معرفة ما يجري في الخارج وفي التعامل السلس مع القميين على أمور السجن بحيث يتيسر الاتصال بين نرّلاء الكرف المختلفة، وبينهم وعين الخارج على رغم وجود العيون الساهرة. عن الأحد عشر يوماً التي قضاهما أركان الدولة اللبنانية في قلعة راشيا ألف جبران جريج كتاباً<sup>(9)</sup> قص فيه مجريات تلك الأيام التاريخية وسوره في تأمين الاتصال بين أركان الدولة والحزب، ما ساعدهم في اتخاذ القرارات الشجاعة بعد أن تذكروا من التفاق المواطنين حولهم. اشكى جبران في آخر كتابه من تجاهل بشارة الخوري ورياض الصلح للخدمات الحساسة التي قدّمها لهم هو وقوميو معتقل راشيا، فهم وإن قدروها حق قدّرها أثناء الاعتقال، إلا أنهم ماطلوا بعد خروجهم في الإفراج عن القوميين كما وعدوا.

الاتصال بين معتقل المية ومية وسجن راشيا استمر، إما بواسطة البريد العادي، وإما بواسطة الرّسل من مأموري السجن وأفراد الدرك والأمن العام الذي كان لنا بينهم أكثر من صديق ورفيق. وعن طريق هؤلاء كُنّا نتلقى

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات



الأمين يوسف الدبس

أخبار القوميين السجناء، ونطلعهم على أحوالنا. الرسائل التي ترسل بواسطة البريد الرسمي تكون مفتوحة يطلع على محتوياتها موظفو المعتقل، وهي عادة لا تتضمّن سوى ما تسمح به المراقبة من أخبار عاديّة. أما الرسائل التي تذهب بالوسائل الأخرى فمحتوياتها محرّرة من كل قيد، وتتضمّن كل ما يريد المعتقلون أن يقولوه بحرية وصراحة. وتكون مسؤولية الوسيط، في حال وقوع هذه الرسائل بيد الرقيب، مساوية لمسؤولية المرسل. استمرّت حياة المعتقل خلال عام 1943 رتيبة الإيقاع، بطيئة الخطى. الوافدون قليلون، والخارجون قليلون. المحظوظ هو الذي يستطيع وضع أعصابه في ثلاثة، كما تُوضَع الحجوم التي تاتيها إلى المعتقل من نيوزيلاندا وأستراليا. ما نفع الهياج، وماذا تفيد الثورة والاحتجاج. الذي يحزّ في النفس أنك جامد في مكانك، فترى الأيام الهالكة تمرّ من أمامك فلا تستطيع أن توقف دورة الزمن، ولا تستطيع أن تلحق بالركب. تمرّ بك الأحداث وتتجاوزك وأنت مسرّر في مكانك تتطلع إليها فتخلخلك وراءها من دون اكتراث.

الأخبار التي تاتي بها الجرائد اليومية هي التي تحمل بين طياتها بعض النور. الأمل معلق بانتهاء الحرب مهما كانت نتائجها. في أواخر عام 1942 صلحت الأنباء خبر نزول الأميركيين في شمال أفريقيا واحتلال الجزائر، ونزول القوات البريطانية في تونس. بدأت الهزائم اليابانية في الشرق، وبدأ الهجوم الروسي في القوقاز، وتراجع الألمان عن ستالينغراد. ومع بدء العام الجديد رُفع الحصار عن لينينغراد، واحتل الجيش الثامن البريطاني طرابلس الغرب، واستسلمت بقايا الجيوش الألمانية مع المارشال فون باولس، في ستالينغراد. وتراجع الألمان في كل مكان، ذلك خلال شهر كانون الثاني وشباط من عام 1943.

في تموز 1943 عزّت قوات الحلفاء جزيرة صقلية، واستقال موسوليني في الخامس والعشرين من الشهر، وبدأ الغزو للبُلّ الإيطالي في الثالث من أيلول، واستسلمت إيطاليا في الثامن منه، وجرى اجتماع في طهران بين ورزقت وستالين وتشرشل في السابع والعشرين من تشرين ثاني، وبدأت نهاية الحرب بالاقتراب، وكبر الأمل بالإفراج عنّا والعودة إلى الحياة الطبيعية، والمشاركة في الحياة العامة.

### مظاهر الاستقلال

مع خروج أركان الدولة اللبنانية من معتقل راشيا في أواخر تشرين ثاني قوي الأمل لحلحلة مشكلة اعتقالنا. تغلب التيار البريطاني على التيار الفرنسي في البلاد، وخرج هؤلاء الأركان ليركبوا الموجة الجديدة، وليستقبلهم الشعب بالتظاهرات والابتهاج. وأعلن استقلال لبنان في الثالث والعشرين من الشهر، وكان لا بدّ أن يُنظر في أمرنا، خصوصاً أنه قد نشأت علاقة شخصية، كما ذكر سابقاً، بين رجال الدولة هؤلاء وبين مسؤولي الحزب في راشيا، الذين قدموا مساعدات إخبارية جلية إذ وضعوا رجالا الدولة في جو البلاد الصحيح، وجنبوهم القرارات المترددة التي كان يمكن أن يتخذوها بناءً على رؤية متشائمة وغير واضحة، عمّا يجري على الساحة اللبنانية. ويظهر أن وعودا شفوية بالإفراج عنّا قد قطعت للمسؤولين القوميين حال الإفراج عن بشارة الخوري ورياض الصلح وزملائهما. ما كاد عام 1943 يقرب من نهايته حتى أخذت جموع القوميين تحُلي المعتقالات والسجون. ومع إطلالة عام 1944 انكد ارتباط القوميين بالغرف المظلمة، وقد وُضِع الأسرهم قيد الإقامة الجبرية يخبثون وجودهم مرة في الأسرهم على الشهر، كل في مركز إقامته. «... زوجته سورية كرم، أخت الرجال، كانت تعاونه في المصنعة والمطعم، وحين اعتقل في المية ومية عام 1940 كتت تحمل إليه الزوادة وما يلزمه من أغراض على دراجتها الهوائية العادية، تقطع بها مسافة غير عادية».

الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أنّ تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

إعداد: لبيب ناصيف



الرفيق الدكتور محمد أمين تلحوق

هذا ما يرويه الأمين ابراهيم يموت عن الرفيقة سورية كرم عقيلة الأمين عجاج المهتار في الصفحة 62 من مجلده «الحصاد المر».

ومثلها كانت الرفيقة رؤوفة خوري عقيلة الأمين أسد الأشقر، تنتقل على دراجة هوائية إلى المية ومية ناقلة الزوادة إلى الأمين أسد.

تحية لك يا رفيقة سورية. عرفتهما وعرفتُ تمزيّهما، مناقب، وجرأة، وإيماناً فذاً، وحضوراً رائعاً، وقدوة لكل رفيقة، ولكل امرأة في شعبنا.

تحية لك يا رفيقة سورية. تحية لك يا رفيقة رؤوفة، يا حزب غظيم فيه عظيمات. أنتما من بين اللواتي نفخر بهن ونعزّز ونطرب».

\*\*\*

كان الأمين يوسف الدبس<sup>(11)</sup> من بين الذين اعتقلوا في «المية ومية». يروي في الصفحتين 68 – 69 من مؤلفه «في موكب النهضة» التالي: «كان قد مضى على وجودي في معتقل المية ومية ستة ونصف وقد انتهت الحرب العالمية الثانية وانتخب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية، وطالت إقامتي في المعتقل وأخسست بشوق كبير لاستعادة العودة إلى الأهل والأحباء وإلى البقاع وسهله وهوائه وإلى الحبيب الذي كتت اتغنى بجماله وعذوبته وأغرقت بمحبته وحنوده.

في تلك الأسمية من شهر أيلول خرجت إلى زاوية المعتقل بجانب الشريط الحدودي وجلست على حجر صغير فسمعت أجراس قرية مغدوشة ترن في أذني والوادي الكبير يردد هذه الأصوات وقرية المية ومية تبع بالناس والهرج والمرج والصبايا يزغردن ويغذّين وصوتهن يدوي في تلك البقعة كلها ورأعي غنم يحمل قضيباً طويلاً تحت بطنه والشباب في فمه يخرج منها نغماً شجياً ناعماً حزياً.

كل هذا ذكرني بالقرية البقاعية أيام الأعداء، فسالت الخفير الذي من أمامي بين الشريطين وكان ممنوعاً على المعتقلين التكلم مع الخفير ولكنني كسرت القانون وسألته بلطف وهموء: «ماذا يجري في المية ومية وما هذا الضجيج؟ أرجو أن تجاوبني دون أن تلتفت إليّ كي لا يراك أحد»، فقال باختصار: «إنه عيد الصليب».

هذه المشاهد أثرت كثيرا في نفسي وتذكرت يوم كنا صغارا وعندما يأتي العيد كيف نلبس الثياب الجديدة النظيفة ونوقد النار ونقفز فوقها ونسهر حتى ساعة متأخرة من الليل ثم نعود إلى البيت ثيابنا مياة وقذرة، وكيف تستقبلنا أُمي وهي تضحك من منظرانا وتقول «ادخلوا اغتسلوا وغَيِّروا ثيابكم».

هذه الأنياء كلها مرّت في مخيلتي فاغرورقت عيناي بالدموع وأخذت الذكريات تجول في رأسي حتى قررت أن أنظلم قصيدة زجلية وضعت عنوانها «يا حبيبي».

سهرت تلك الليلة حتى منتصف الليل اضع أفكار القصيدة ومطلعتها في رأسي وكنت كل ليلة أجلس الدفتر والقلم إلى تلك الزاوية وأجلس على الحجر الصغير حتى اكتملت القصيدة من أربعة مقاطع وكل مقطع عشرة أبيات». (لمن يرغب الإطلاع على القصيدة مراجعة كتاب الأمين يوسف «في موكب النهضة»).

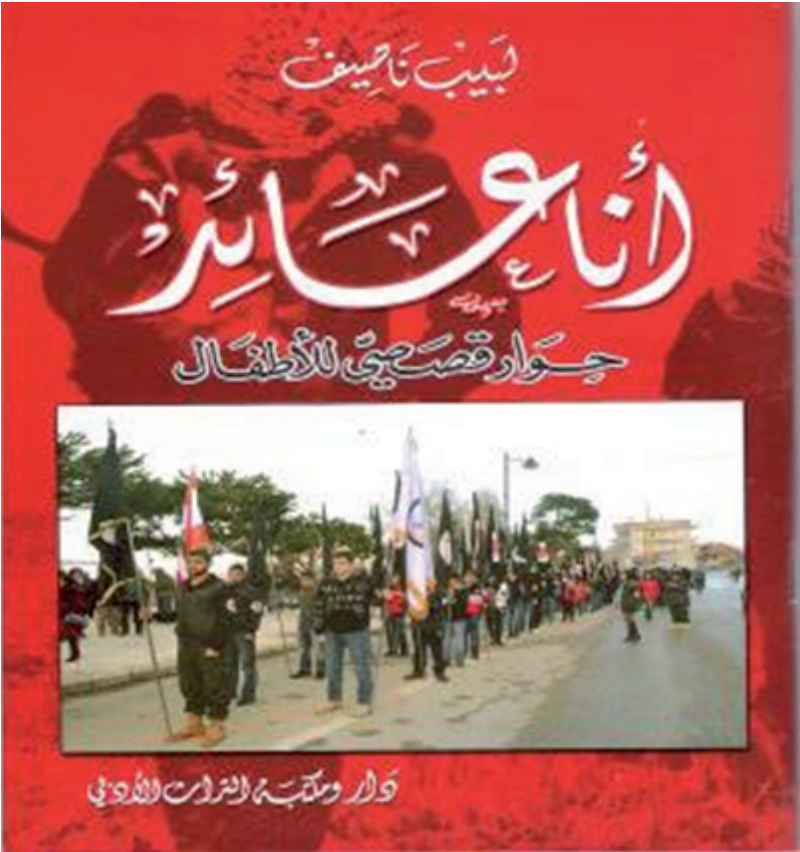
### هوامش

(8) كريم عزقول: مراجعة أرشيف تاريخ الحزب على الموقع المذكور آنفاً.

(9) نهاد حنا: مراجعة أرشيف تاريخ الحزب على الموقع المذكور آنفاً.

(10) روى الأمين جبران جريج قصة اعتقاله، ومسؤولين، في قلعة راشيا الوادي في كتاب بعنوان «حقائق عن الاستقلال، أيام راشيا»، الذي ننصح بالإطلاع عليه.

(11) يوسف الدبس: من دير الغزال. أديب وشاعر. مُنح رتبة الأمانة. مراجعة النُبذة بعنوان بيايات الحزب في البقاع الأوسط، على الموقع المذكور آنفاً.



وتوزيعه في الخارج. وقد أرسل الحوار إلى أكثر من مكان عبر الحدود، ليطلع عليه الرفقاء المسؤولون، ويقدموا رأيهم فيه ومدى صلاحيته لأبناء المغترّبين.

خصص ربع كُتِيب «أنا عائد» لشعبة الأشبال في الحزب، وقد ورد ذلك على غلاف الصفحة الأخيرة.

هوامش

- مترجم نشوء الأمم وكتيب «التعاليم السورية القومية الاجتماعية» إلى الإسبانية، ومؤلف أكثر من كتاب حول الموضوع اليهودي، والصهيونية.
- والده الأمين ابراهيم حنا الخوري الذي تولى أكثر من مرة مسؤولية مدير مديرية غويانيا والتي شكلت حضوراً متقدماً في المدينة وفي الوسط البرازيلي.
- من جاء فيه. دكتور في التربية. متقاعد منذ سنوات. مقيم حالياً في بريطانيا.